المحاضرة الخامسة

اللغة العربية
في القرن الحادي والعشرين، في المؤسسات التعليمية
في الجمهورية اللبنانية، الواقع والتحديات واستشراف المستقبل

الأستاذ الدكتور ياسين الأيوبي

الجمهورية اللبنانية

الثلاثاء 29 ربيع الآخر 1426هـ- 7 حزيران 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة العربية في المؤسسات التعليمية

في الجمهورية اللبنانية في القرن الحادي والعشرين

(الواقع والتحديات واستشراف المستقبل)

العناوين الكبرى والمحطات البارزة

<u>مدخل</u>

- في تكون اللغة، نشأتها، طبيعتها، أهميتها.
- أزمنة الازدهار والغنى في العصور الإسلامية الأولى.
- مراحل التخلف والانحدار .
- تباشير النهضة العربية.

١ – حركة التعليم في لبنان في العصر الحديث

- ريادة لبنان في إنشاء المدارس والجامعات والمعاهد الحديثة
- أشهر الصروح التعليمية النهضوية.

٢ – واقع المؤسسات التعليمية في لبنان

أ – المراحل الأولى (الروضات – الابتدائية – المتوسطة).

ب – المرحلة الثانوية.

ج – مراحل التعليم العالي والجامعي.

(أرقام ونِسَب ونتائج)

٣ – التحديات

أ – هجمة اللغات الأجنبية على الحياة التعليمية ولغة التخاطب.

ب – غلبة المصطلحات التقنية والعلمية الحديثة على المصطلحات العربية.

ج – ردات الفعل ذات الطابع الديني على اللغة وقواعدها ومسارها الصحيح.

د – الترويج للَّهجات المحكية وخلط الفصحى بالعامية.

٤ – الاستشراف

مفترق طرق، ومستقبل غامض من غير يأس أو استسلام.

مدخل عام

الكلام على لغة أمة من الأمم، يعني وضع هذه الأُمة في ميزان التقويم، وقياسَ رقيّها وحضارتها وقوتها، أو انحدارِها وتخلُّفها عن ركب التاريخ والإنسانيّة، تمهيدًا لتقهقرها وقبوعها في أقبية النسيان، وصولاً إلى الاندثار.

وما أكثر اللغات التي أصابها الدهر بسهامه فانقرضت تمامًا، بينما صمدت لغات أخرى، وقاومت واتخذتْ لها مواقع متقدمة، أحرزَ بعضُها رتبة الأوَّلية كالإنكليزية مثلاً.

ولو سألنا عن **أسباب البقاء أو التردي**، لأُجِبنا: بأنها **غلبة القوة والنفوذ** وما يسبقهما من تجذّر تاريخي، وتشبّث بالوجود، والتميز الحضاري الأصيل، كمعظم اللغات الحية المعاصرة التي قارعت الزمن، وانتصرت على قوى الخنوع والاستسلام، وأوصلت رجالاتها وعباقرتها، إلى رُتبٍ عالية في سلَّم الخلود والعنفوان، كاللغة الألمانيّة والروسيّة والفرنسيّة، التي رفدت البشريّة بأكبر عدد من رجال الفكر والأدب والفلسفة، على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين .. وسيبقى الأمر كذلك ما دامت أُممها تَمخر عباب الزمن، وتحفر عميقًا في تربة الحضارة والتطور. حتى إذا اختلَّ هذا المسار، وتداعت القوى الذاتية والوجودية، أصيبت اللغةُ، وما تجسِّده من صروح الفنّ والفكر، بتصدعات جسيمة.

وليست **لغتنا العربية** ببعيدة عن هذا المقام الرفيع.

فقد **أوتيتْ من مداميك القوة وشُعَل البيان**، ما جعلَها ترفل بأجمل أثوابها، وتتخايل طويلاً على لغات أقوى الأمم والإمبراطوريات، قرونًا عدة، شملتْ مختلف العلوم والآداب .. عنيتُ أمبراطوريَتي الفرس والروم، مرورًا بمعظم اللغات الأوروبيّة المُعْرقة: كاليونانية، واللاتينية، والإسبانية، والفرنسية.

ومما لا شك فيه **أنّ روح الفتوح والاقتحام البطولي الذي انطوتْ عليه رسالة الإسلام** الهدائية والتنويرية، ودخولَ معظم الشعوب المفتَتحة في حظيرة الإسلام، كانا وراء هذه الغلبة الباهرة، وذاك التخايل المتعاظم عبر الأزمنة.

ولن أضرب لذلك أيَّ مثال، فأسردَ قوائم من الفتوح العلمية، والإنجازات الفكرية، وأسماءِ الأعلام والمشاهير .. لأنَّ ذلك ماثل في ذاكرة الجميع، مشكِّلاً على الدوام، انشدادًا تلقائيًا واعتزازًا قوميًا بتلك المراحل والعصور، نتمثل بها ونعتصم بأهدابها، كلما ادْلَهمَّ بنا الزمان، واعتورنا قلقٌ وجوديٌّ قاتم، كمثْل ما اعتراني، في أحد ايام إقامتي في **باريس**، خريف عام 1970، قائلاً، من قصيدة: «**غريب في باريس**»، وأنا في غمرة الانقباض يلُفُّني من عمق أعماقي:

« ... أوَلا يَهُزَّنَّ الضميرَ تَحضُّرٌ في الفكرِ
من زمنٍ، وقد بَليتْ قرونْ ..
وتحرُّرٌ، دَكَّ العروشَ، وشيَّد الأبراجَ
تَعْلو متْنَها، غُرَرُ الفنونْ ؟!
إنْ كان هذا لا يَهزُّ ..
فقلتْ مَهْلاً، كلُّه قد هزَّني
وأصابني منهُ شجونْ ...
أَوْدى بيَ الإعجابُ والإعظامُ
حَدَّ الذَّوْب والإيغال في قاع السنينْ،
أتمثَّلُ الماضينَ من فرسان أجدادي
أُولي الفتح المُبينْ ...
... لكنني أبقى غريبًا ...

كلُّ ما في النفس يُقصيني عن الأضواءِ
والألوانِ والأبهاءْ ...
فأنا نسيجُ التربة السمراءِ
مَلْحَمةِ الهواءْ ...
يَجري طلوعُ الشمس فوق حقولنا
مَجْرى الأريج، مروِّحًا سُحُبَ العَنَاءْ
ويُعَسْعسُ الليلُ المهيبُ على التلالْ،
مُرخى الجدائل ... راتعًا في هدْأة الأصداءِ
تَزْرعُهُ سُجوًّا وابتهالْ! ...»[1]

ذلكم هو ما أصاب لغَتنا غداة انحدارها التاريخي، أمام المَدّ المغولي الذي اجتاح أرضَ العروبة والإسلام في العصور الإسلامية الوسطى، واستمرَّ ذلك مع حكم المماليك والعثمانيين، حتى ما سُمِّي بعصر النهضة.

إنّ أهمية اللغة، تكمن في أنها ليست فقط وسيلة التخاطب والتواصل الفضلى بين الجماعات والأفراد، وبين المرء وذاته – فما أكثر الكلام الذي يدور بين الإنسان ونفسه! – **بل هي رمز الهوية التي تميّز شعبًا عن شعب،** وتطبع حضارته ودرجة حضوره في مسرح الوجود والحياة، وصولاً إلى الاستدلال على ما في أعماق النفس، ونوازع القلب، وتصورات الذهن، كقول **الأخطل** (ت 592 هـ/ 710م) معبِّرًا عن هذه الأحاسيس بأجمل ما يكون:

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ، وإنما جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلا [2]

---

١ – «**قصائد للزمن المهاجر**»، دار الرائد العربي، بيروت، سنة 1983، ص 48 – 50.

فهي بذلك **أفضل ما وهبه اللهُ للإنسان** ليمَيزَه وحده دون غيره من المخلوقات؛ من غير أن ننسى **العقل المدبِّر** الذي مكَّننا من اكتشاف الحروف والكلمات، وربْطها بعضها ببعض، لنقْلِ أفكارنا ومقاصدنا إلى الآخر، واستيعاب ما لدى الآخر من أفكار ومقاصد مماثلة.

وقد لا نستطيع المفاضلة بين اللغة والعقل، لأنهما متلازمان، متكاملان، في جدلية أزلية، أو قلْ: **معادلة أزلية** هي: **من لا عقْل له ولا فكْر، لا لغة سليمةً له،** ولا سبيل إلى اعتباره جزءًا ملتحمًا بالكلّ الذي هو المجتمع. **ومن لا يحسن النطق** أو لا يتمتع بمنطقٍ سليم ولسانٍ معافى، **فهو معتلُّ الفكر** مختلّ التواصل مع المجتمع.

«فاللسان جارحةُ الكلام»، و«هو المِقْوَل»، به يستقيم النطقُ والكلامُ أو يختلُّ.. «واللِّسْنُ: الكلامُ واللغةُ. واللَّسَن (بالتحريك) جودةُ الكلام وفصاحتُه»[٣] .

فمن حُرم هذه الجارحة، فَقَد آلةَ النطق الذي يؤلف حجر الرحى في دائرة الفكر السليم والسلوك المعافى، ويكون بذلك قد أكّد المعنى الآخر لِلُّغة، التي هي اللغْوُ، بمعنى الكلام؛ ألاَ وهو سقْط الكلام وهُذاؤه .. ومن هنا الإلغاءُ، بمعنى الإبطال ..[٤] .

ومن استعاض عن لسانه ونطقه بوسيلة أخرى كالرسم وما شابه، فهو استثناء منقطع، يدخل في خانة المبدعين المُعجِبين، وما أقلَّهم! ..

---

٢ – عن «**شذور الذهب**» **لابن هشام**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة سنة 1965، ص 28، والبيت غير موجود في ديوان **الأخطل**.

٣ – **لسان العرب، لابن منظر**. دار بيروت سنة 1960 [لسن] ج 13 / ص 385 – 386 .

٤ – **تاج العروس، للزبيدي**، الجزء 39، تحقيق عبد المجيد قطامش، الكويت سنة 2001، ص 464 – 465 .

حركة التعليم في لبنان في العصر الحديث

تطرَّقت في فقرة سابقة، إلى زمن التخلف والانحدار الذي أصاب اللغة العربية إبّان الحكم العثماني، حتى عصر النهضة التي حدَّدها معظم الدارسين، بغَزْو **نابوليون بونابرت** إلى مصر سنة 1798.

ولكننا نرى أنها ابتدأت قبل ذلك بِحقْبة طويلة، مع انتشار المدارس والدُّور التعليمية التي أنشئت في الأصل، لأغراض دينية، أعقَبَها بعثات تبشيرية أو ما يعرف بالإرساليات.

ولَمّا كانت اللغة لا تنمو ولا تنتشر إلا بالتعليم والتلقين، كان لا بدَّ من الالتفات إلى الدُّور التعليمية التي تضخُّ العلم في النفوس، وتزرع المعرفة رياضًا وخمائل.

ولَمّا كان بحثي ههنا، محددًا في جغرافية لبنان، عمدتُ إلى إضاءات لا بدَّ منها لرسم صورة المسيرة اللغوية التي نحن بصددها في هذا الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني.

وتلكم **ملامحها العامة ومحطاتها البارزة:**

- تُعدُّ **مدرسة روما المارونية** التي أنشأها **البابا غريغوريوس الثالث عشر** سنة 1584 م في رومية، **أول مدرسة تعليميّة لبنانية.**
- من خريجي هذه المدرسة الأب **بطرس مبارك** الذي أنشأ **مدرسة عينطورة** في كُسْروان (جبل لبنان) سنة 1728م، والتي لا تزال تعمل حتى اليوم.
- ومن أشهر مدارس هذه الحقبة التي سبقت غزوة نابوليون لمصر، **مدرسة عين ورقة** التي أنشأها **البطريرك يوسف اسطفان** عام

1789م على مثال مدرسة روما المارونية. وقد رأى فيها **فؤاد أفرام البستاني** المتوفى سنة 1994م، أُمَّ المدارس الوطنية دون خلاف [٥] حيث قامت بتدريس الأدب العربي واللغة العربية بتركيز وعناية، وحسّ وطني تربوي حديث. وكان لها الفضل في صنع فجر اليقظة العربية والنهضة الحديثة، مع الشيخ **ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق** المتوفَّيْن على التوالي: سنة 1871 و 1883 و1887م، والذين تخرّجوا في هذه المدرسة، ثم علَّموا فيها فيما بعد[٦].

ونمضي إلى مَعْلَمَيْن كبيرين من معالم النهضة التعليمية الكبرى في لبنان والبلاد العربية وهما **الجامعة الأميركية في بيروت، وجامعة القديس يوسف** في بيروت..

- تأسّست **الجامعة اليسوعية** سنة 1875. كانت من قبلُ مركزاً للمبشرين اليسوعيين، ثم تحوّلت إلى جامعة عام 1875، واستكملت كلياتها سنة 1913، بإضافة كليتي الهندسة والحقوق، المرتبطتين بجامعة ليون بفرنسا. **وتعد هذه الجامعة من أعرق الجامعات في لبنان والوطن العربي،** التي تخرَّج فيها آلاف الطلاب في مختلف الاختصاصات، ومنهم عدد وافر من كبار رجال السياسة في لبنان على مدى القرن العشرين..

---

٥ – **تاريخ التعليم في لبنان، فؤاد أفرام البستاني**، بيروت. لا تاريخ. ص 170.

٦ – للمزيد من المعلومات حول حركة المدارس في لبنان وسوريا ومصر، انظر كتاب: **معالم الفكر العربي في عصر النهضة**، بقلم د. **منذر معاليقي**، راجعه وقدّم له د. ياسين الأيوبي. دار اقرأ، بيروت سنة 1986، ص ص 97 – 127.

- أما **الجامعة الأميركية** فقد تأسست بداية، باسم الكلية الإنجيلية السورية سنة 1866، ثم اتَّسعت وضمَّت عددًا كبيرًا من الكليات بمختلف الاختصاصات العلمية، والإدارية، والاجتماعية، والسياسية .. «مُشرِّعة أبوابها لجميع الطلاب على اختلاف ظروفهم وطبقاتهم دون اعتبار للونٍ أو تابعية أو عرْق أو دين .. ويستطيع كل إنسان أن يدخل هذه الكلية، ويخرج منها وهو يؤمن بإله واحد، أو بآلهة عديدين، أو ملْحدًا»[٧].

أسهمت **الجامعة الأميركية** بتخريج قوافل من رجال الفكر والسياسة والأدب في لبنان والوطن العربي، وهم أصحاب فكر حرٍّ وثقافة قومية عربية، وإنسانية منفتحة، على الرغم من الروح التبشيرية السارية المفعول التي زرعها المؤسِّسون البروتستانت؛ لكنها سرعان ما توارتْ مع الأجيال العلمية المتعاقبة.

- **المدرسة الوطنية**، أسَّسها **المعلم بطرس البستاني** في إحدى ضواحي بيروت الجنوبية سنة 1863.. رفَعتْ شعارًا وطنيًا رائدًا هو: « **حبُّ الوطن من الإيمان**»؛ الأمر الذي أدى إلى إشاعة ثقافة وطنية خالصة من التبعية والارتباط الديني أو العقائدي، ومضمّخة بالمثل الأخلاقية والقيم الإنسانيّة .. وفيها تخرَّج الأديبان النهضويان الشيخ **إبراهيم بن ناصيف اليازجي** المتوفى سنة 1906م ومعرِّب الألياذة **سليمان البستاني** ت 1915م . ومن أفراد الهيئة التعليمية فيها كل من **أحمد الأزهري، ويوسف الأسير، وناصيف اليازجي، وشاهين سركيس**[٨]، الذين زرعوا في نفوس الناشئة حب الوطن، واللغة العربية

---

٧ – الكلام لرئيس الجامعة الأول **دانيال بلسّ**. (انظر: **لبنان في التاريخ، لفيليب حتي**. مؤسسة فرنكلين. بيروت سنة 1956، ص 552).

٨ – **يقظة العرب، جورج أنطونيوس**، دار العلم للملايين، بيروت سنة 1962، ص 115.

وآدابها، وتأثرت بهم وبغيرهم معظم المدارس اللبنانية الأخرى التي أُنشئت فيما بين إسلامية ومسيحية، نذكر منها:

- **مدرسة الثلاثة أقمار** في سوق الغرب، **ومدرسة الحكمة** ، ذواتي الإشراف المسيحي، **والكلية الوطنية الإسلامية** في طرابلس، **وجمعية المقاصد الإسلامية** التي أُسست في بيروت، ثم انتشرت مدارسها في العاصمة والمدن والقرى اللبنانية في مختلف المناطق، ولا تزال ..

واقع المؤسسات التعليمية في لبنان

نتناول في هذه الفقرة، القسم الأول من بحثنا الخاص بتعليم اللغة العربية في المعاهد والمؤسسات، موزَّعًا على جميع مراحل التعليم في لبنان، بدءًا بالروضات والمرحلة الابتدائية، وانتهاءً بالجامعات والمعاهد العليا، رسميةً كانت أم خاصة؛ معتمدين على مقررات وبرامج وزارة التربية الوطنية لجميع المراحل التي تسبق الجامعة، ثم على مقررات ومناهج الجامعات والمعاهد العليا الخاصة المنشورة في كتب وكراسات، أو منشورة على صفحات الحاسوب الإلكتروني «إنترنت».

وسنتخذ في عرضنا ههنا، **الخطوات الآتية:**

١ – **تعيين مواد اللغة العربية** المدّرسَة، من نحو، وصرف، وفقه، وقراءة، وإملاء وبلاغة؛ ولن نلتفت إلى ما عدا ذلك مما يتضمَّنه الدرس الأدبي والدراسات الإسلامية.

فالغرض الرئيس هو اللغة وعلومها، أما الأدب وخلافه، فسبيله موسم آخر، واهتمام مستقل.

٢ – **تحديد ساعات التدريس** لكل مادة لغوية، أسبوعيًا وفصليًّا أو سنويًا، مع **إجراء بعض النِّسَب مع مواد التدريس الأخرى**، من حين لآخر.

٣ – شَمَل البحثُ أهم الجامعات والمعاهد الخاصة البارزة في لبنان، **والتابعة للطائفتين الإسلامية والمسيحية، من قريب** أو بعيد، وقد أفردنا **وقفة خاصة للجامعة اللبنانية**، كونها الجامعة الرسمية الوطنية الوحيدة في لبنان.

٤ – **إجراء مقارنات وتعقيبات على النِّسب المحصَّلة** لدى هذه المؤسسة أو تلك من كلتا الطائفتين، مع محاولة الخروج بسلسلة مراتب تدرُّجية عامة لجميع الصروح والمؤسسات..

أ– المرحلة الابتدائية والمتوسطة

أفادتني وزارة التربية الوطنية عبر أحد كبار موظفيها، في إحصائية دقيقة،

- أن هناك **اثنين وأربعين** تجمعًا مدرسيًا للروضات، يضم كل تجمع ما بين ثلاث إلى خمس روضات ..
- وأن هناك **مائتين وسبعًا وستين** روضة مع مدرسة ابتدائية،
- **وستمائة وعشرين روضةً** وابتدائيةً ومتوسطة، في تعداد واحد.

أي في لبنان اليوم ما يقرب من **ألف مدرسة ابتدائية ومتوسطة** ، تضمُّ معظمُها روضات.

وما يعادل **نصف هذا العدد، للمدارس الخاصة.**

ولننظر الآن **ما الذي يُدرَّس من مواد اللغة العربية**، في هذه المرحلة؟

قُسِّمتْ هذه المرحلة إلى ثلاث حلقات، تشتمل كل حلقة، ثلاث سنوات،

الحلقة الأولى لكل من السنوات الأولى والثانية والثالثة (ابتدائي).

الحلقة الثانية لكل من السنوات الرابعة والخامسة (ابتدائي) والسادسة (متوسط).

الحلقة الثالثة لكل من السنوات السابعة والثامنة والتاسعة (متوسط).

- يُدرَّس في **سنوات الحلقة الأولى** كتابٌ **للقواعد الأولية للغة العربية،** ومثله **للقراءة العربية،** ملحقَيْن **بدفترين للتطبيقات.**
- ومثل ذلك تقريبًا لسنوات **الحلقة الثانية،** على شيء من التوسع، مضافًا إليه نصوص أدبية تُدْرس وتحلَّل، وتُلحظ من خلالها أشياء في القواعد والإملاء ..
- أما **الحلقة الثالثة** (السابعة والثامنة والتاسعة) والمنتهية بشهادة الإعدادية العالية (البروفه) فتُدرس أشياءُ **عن النحو** ، في مسائل محددة كالجُمل، والمبتدأ والخبر، والمفاعيل،

وأشياءُ عن **الإملاء،** وخاصة قواعد كتابة الهمزة، والتاءات، وحروف العلَّة واستمرارٌ في **القراءة،** في نسق مطَّرد مع الحلقتين الأولى والثانية على شيء من التحضير والتنويع، من **قراءة صامتة** تمهيدية لفهم ما يُقرأ، إلى **قراءة جهريَّة؛** كما تُدرس **نصوصٌ أدبية** يُلحظ فيها **وجوه محددة في البلاغة** من تشبيه ومحسنات بديعية ..

أما ساعات التدريس فلا تتجاوز السبع ساعات أسبوعيًا ..

ولو بحثنا في **نوعية المدرِّسين** لوجدنا أن غالبيَّتهم **غير مؤهلين لتدريس العربية** لا إعدادًا مختصًا ولا مستوى علميًا أو شهادات عليا، باستثناء عدد قليل تستقطبهم بعض المدارس الخاصة العريقة.

حصيلة ذلك، تأسيس هشّ، وخبرات أولية، ومعلومات لا تسمن ولا تغني، وانطلاقة متواضعة، وصورة لا توحي بالثقة والأمل.

وإذا كانت البداية التأسيسية، بهذه الصورة، فمن الطبيعي أن نصل في نهاية المطاف، إلى ما نشكو منه في هذه الأيام، من تداعٍ في مستوى اللغة العربية كتابةً، وقراءةً، وبحوثًا، ودراساتٍ مختصَّة، كما يتّضح لنا لاحقًا ..

ب – المرحلة الثانوية

أفادني موظف كبير مسؤول في وزارة التربية الوطنية أن عدد الثانويات الرسمية في لبنان هو **236** (مائتان وست وثلاثون ثانوية)، وما يقرب من ذلك في القطاع التعليمي الخاص.. وهو رقم عال في بلد صغير كلبنان.

تنطلق المنهجية الحديثة المطبَّقة في تعليم العربية وآدابها، في هذه المرحلة، من أهداف وشعارات برّاقة توهم بما يشبه الثورة على الضعف والجمود؛ ومنها:

الطالب نجمُ الصف .. المعلمُ صديق .. الطالب يعمل والمعلّم يوجِّه.

ومن الأهداف والشعارات:

ينبغي للطالب أن يكون مواطنًا صالحًا، قبل أن يُتْقن القراءة والكتابة. ولنا أن نقيِّم تفاعل الطالب مع المعلومات؛ وليس علينا حشو ذاكرته بالمعلومات، بل في إطلاق طاقات الإبداع لديه، بتحويله إلى باحث مبدع، لا خزَّان معلومات..

تلكم هي النظرة التربوية التي وضعتْها منهجية التعليم الثانوي الجديدة في لبنان.. وسنرى أنها تتضمن تحقيق أمور على حساب أمور أخرى قد تكون أهم من الأولى.. ولست هنا في صدد نقد هذه المنهجية، لأنها ستَنْقُد نفسَها بنفسها، بعد عرض الشريط المقتضب حول تعليم العربية وموادها في الثانويات اللبنانية: رسمية وخاصة.

تتألف هذه المرحلة من ثلاث سنوات، تنتهي بالشهادة الثانوية ذات الفروع الأربعة الآتية:

الإنسانيات، فرع العلوم، فرع الاقتصاد، فرع الرياضيات.

ولا تدخل اللغة العربية كمادة مقصودة لذاتها في أي من الفروع المذكورة .. فيما عدا (**الإنسانيات**) الذي تُلحظ فيه مسائل مختلطة في الأدب واللغة والبلاغة ..

ومما يَدرسه الطالبُ في هذا الفرع، نصوص أدبية مختارة لبعض أعلام الأدب والكتابة الفنيّة، تُطرح فيها المسائل التالية:

- **الأنماط الكتابية** (وصف، وسرد وتفسير وإيعاز ...).
- **مستوى التواصل .. نوع النص، النوع الأدبي، وظائف الكلام، دراسة العنوان، الحقل المعجمي، الدور الجمالي والدلالي، القواعد الوظيفية.**

وهي كما نلاحظ، خالية تمامًا من أي درس لغوي خالص لذاته ..

فاللغة العربية إذاً، مُغيَّبة في المرحلة الثانوية، ويتركز الاهتمام، على النصّ المدروس والمحلّل، وما يمكن أن يسمّى: بمرور الكرام عليها، في أسئلة فرعية وجزئية عن معنًى معجمي، ودلالي، ومحسِّنةٍ بلاغية، ووظيفة إعرابية ..

وإذا نظرنا إلى الأسئلة التي تعطى في الامتحانات الرسمية النهائية، أو في الوظائف والفروض السنوية، وجَدْنا ضمورًا ملحوظًا في اختبار اللغة، بحيث لا يزيد على أسئلة فرعية لضبط النص، وإعراب كلمات مفردة، إعرابًا نحويًا، وتعيين اللون البلاغي لهذا التركيب أو ذاك.

وتتراوح العلامات المعطاة ههنا ما بين عشْر إلى خمس عشرة علامة من أصل ثمانين، كما لا تزيد **ساعات التدريس على خمس:** للأدب والبلاغة والعروض معًا..

أما **الأهمية** والتركيز الغالب، فهما على النص ومناقشة أفكاره وهندسته، إلى جانب معالجات أخرى إنشائية وتحليلية.

مع **ملاحظة هامة** هي: **غياب القراءة الجهرية،** وكل ما يتعلق بالمشافهة، في الامتحانات المدرسية والرسمية.

ج- مرحلة التعليم الجامعي العالي

يتسع الكلام في هذه المرحلة اتساعًا كبيرًا، لغير سبب وغير داعٍ.

أولاً، هناك ما يقرب **من الخمسين صرحًا جامعيًا،** ما بين جامعة متعددة الكليات والاختصاصات، وكليةٍ، أو معهد..

ثانيًا، ليس هناك من مقررات ومناهج محدَّدة تلتزم المؤسسةُ بتطبيقها، على غرار المؤسسات التعليمية الخاصة والرسمية، في المرحلة الثانوية. كل جامعة وكل كلية أو معهد، تضع مناهجها ومقرراتها بنفسها وفقًا لخطة مستقبلية تحددها هي.

ثالثاً، إن معظم هذه الجامعات والمعاهد، تمَّ إنشاؤها في مناخ ديني طوائفي، تنفيذًا لسياسة تربوية وتعليمية لهذه الطائفة أو تلك، وهذا المذهب أو ذاك. وقليلة هي المؤسسات الجامعية التي تمتَّعت باستقلال تام، في الملاك التعليمي، والسياسة التعليمية، وميزانيات الإنفاق. مثال ذلك: **الجامعة اللبنانية** ، وبعض الجامعات العريقة، **كالأمريكية، والعربية ..**

وسنقف عند كل ذلك من خلال عيِّنات من هنا وهناك.

أولاً: فئة الجامعات والمعاهد ذات الانتماء المسيحي

- **جامعة القديس يوسف**

لعلها من أعرق الجامعات اللبنانية وأَحفاها باللغة العربية..

فمن أصل **1275 صفًا** لجميع الكليات والمعاهد التابعة لها، هناك **130 صفًا خُصِّصت للعربية لغة وأدبًا.**

وهناك غير ميدان لتدريس اللغة العربية.

١ – ميدان التخصص في اللغة العربية وآدابها

٢ – ميدان الدراسات العربية

٣ – ميدان العلوم والتطبيقات في مختلف الاختصاصات

وفيما يلي بعض الأضواء على هذه الميادين.

وأول ما يستدعي الذكر حيال هذه الجامعة بعامة، هو **أنها تدرّس اللغة العربية في معظم الكليات والأقسام،** (رصيد واحد على الأقل) ما بين إجباري واختياري، في الأسبوع على مدى فصل واحد أو فصلين.

1–**في ميدان التخصص المباشر،** نقع على معهد يطلق عليه: **معهد الآداب الشرقية Centre d'études orientales** ، يُعدُّ لثلاث شهادات كبرى عالية: **الإجازة، والماجستير والدكتوراه.**

(1) يتلقى الطالب في **سنوات الإجازة الأربع** ما يقرب من ثماني عشرة ساعة تعليم في اللغة العربية وعلومها، في الأسبوع الأول، موزعة كما يلي:

- مقرران **للغة العربية** بعامة **1 و 2** ؛
- أربعة مقررات في **قواعد اللغة العربية** صرفًا ونحوًا، **1 و2 و3 و4.**
- مقرران مشتركان في **اللغة والفكر العربيين، 1 و2** .

- أربعة مقررات في **اللسانيات** Linguistiques .

وكل هذه المقررات إجبارية.

ولم نلحظ شيئًا **للبلاغة** وعلومها، وربما تضمنها المقرران الأولان ..

(2) في منهج **الماجستير أو دبلوم الدراسات العليا**، نطالع ما يلي:

مئة وعشرون ساعة لطلبة الفصل، للسنة الأولى المؤلفة من فصلين، وفيها:

١ – **لغة عربية وفكر عربي**، مقرران **1 و2** اختياريان.

٢ – **العربية بعامة** مقرران **1 و2** اختياريان.

٣ – **لغة وأدب عربي** مقرر واحد إجباري، وتحضَّر معه رسالة بحث مصغرة.

٤ – **مدوّنات** (Notes) مخصصة لبطاقات التحضير والتقميش..

٥ – **قضايا في اللغة والأدب**.

٦ – **منهجية البحث** في اللغة والأدب.

٧ – **رسالة** (بحث كبير) في اللغة والأدب تناقَشُ من لجنة مؤلفة من ثلاثة أساتذة بينهم الأستاذ المشرف..

والمقررات الخمسة الأخيرة، جميعها، إجبارية.

(3) وفي **الدكتوراه**، يقوم الطالب **بإعداد مقررين إلزاميين**، الأول حول :

١ – **دراسات لبعض النصوص** التراثية أو المعاصرة، وفقًا لطبيعة موضوع الأطروحة. **والثاني** ، في **منهجية البحث** الذي هو بصدده، ويتم على مرحلتين، أولى وثانية.

٢ – **كتابة أطروحة** في موضوع جديد غير مطروق، تتم الموافقة عليه من قبل مجلس القسم المختص بعد موافقة الأستاذ المشرف.

2– في ميدان الأبحاث والدراسات العربية

C.R.E.A (centre de recherches et études arabes)

يمنح هذا المركز خمس شهادات عليا بمنزلة **الإجازة** (Licence):

واحدة في **التربية** للصفوف ما قبل الابتدائي (الروضات) **لتعليم اللغة العربية،** وواحدة مماثلة **لتعليم الفرنسية،** وثالثة **للرياضيات والعلوم،** ورابعة **لضبط النصوص** (أو ما يعرف بالإملاء التربوي Licence en orthopédagogie)

ويدرَّس في جميع هذه الشهادات العليا، **اللغة العربية** ، في حدود الخمسين ساعة للفصل الواحد، كما تدرَّس **المهارات اللغوية** في حدود الثلاثين ساعة، وقل مثل ذلك في تدريس **العربية المحسَّنة، والعربية الموسَّعة،** في حدود الثلاثين ساعة لكلتيهما.

الهدف العام من وراء هذه الحصص التدريسية المذكورة، **إكساب الطلاب القدرة على التعبير الشفهي والكتابي، باللغة الفصحى السليمة، وتنمية قدراتهم على فهم النصوص وتحليلها،** بالاعتماد على الحوار والتكلم بالفصحى السليمة.

إضافة إلى ما ذكرنا من مواد ومقررات، فإن **هذا المركز** يقوم **بتعليم اللغات الحية والمعاصرة،** ما بين **ترجمة وتعريب،** مخصصًا أربعًا وثمانين ساعة فصليًا، موزعة على خمسة صفوف ومستويات من رقم **1** إلى **5** .

يضاف إلى ذلك أيضًا، **منح شهادات ونتائج بمجمل الموادّ المقرَّرة** عند نهاية الفصل أو السنة.

ونخلص إلى ما ألمحت إليه في مقدمة الكلام **على هذه الجامعة،** وهو أنها قد **أولت اللغة العربية كبير عنايتها في تدريسها ونشر علومها،** وإنْ في نطاق عام – فيما عدا القسم العربي المختصّ – نطقًا وكتابةً وبحوثًا ومعالجة وفقًا لمنهجيات محدَّدة، لئن لم تتوسع في الجذور كما يجب، فقد نوَّعت أساليب التعليم وعمَّمته على معظم المعاهد والاختصاصات، بما في ذلك طلاب العلوم التطبيقية والعلوم النظرية، **كالتجارة، والمحاسبة، والميكانيك والحاسوب،** التي يُلزَم فيها طلبتُها بالتعرف الجاد على قواعد العربية وممارسة الكلام الصحيح فيها، والكتابة من غير أخطاء، وهو ما نفتقده في معظم الجامعات والمعاهد بما في ذلك، الجامعات الإسلامية، والجامعة اللبنانية.

- **جامعة الروح القدس (تأسست سنة 1960)**

من خلال الكرّاس المطبوع في مدينة الكسليك/ جونية سنة 2005، والخاص بكلية الآداب، نقرأ **الأهداف الآتية:**

يرمي قسم اللغة العربية وآدابها إلى تحقيق ما يأتي:

١ – إعداد أساتذة في العربية وآدابها للتعليم في المدارس والجامعات.

٢ – إعداد باحثين في الآداب والحضارة والألسنية العربية.

٣ – إعداد الطلاب لمختلف المهن التي تتطلب تمكنًا من العربية (الصحافة، النشر، الإعلام).

وتمنح الكلية الشهادات الآتية:

١ – **الإجازة التعليمية في اللغة العربية** وآدابها، وهي مرتكزة على شهادتين ينالهما الطالب خلال السنوات الثلاث الأولى، تسمى الأولى دبلومًا، والثانية جدارة.

٢ – **دبلوم دراسات معمَّقة** (D.E.A) ينالها الطالب بعد سنة على الأقل من حيازته الإجازة التعليمية.

٣ – **الدكتوراه** (ثلاث سنوات على الأقل بعد الدبلوم الأخير).

وفي قراءتي **لمنهاج التدريس** لمواد الإجازة في قسم اللغة العربية وآدابها، الموزع على فصلين من كل سنة دراسية، تبيَّن لي ما يلي:

- **في الفصل الأول من السنة الأولى للإجازة،** هناك مقرران لغويان، من أصل ستة مقررات عامة، هما:
  - **الكفاية اللغوية** (Arabe perfectionné) خُصص لها **ستون ساعة.**
  - **مدخل إلى الألسنية** تتألف من **ثلاثة أرصدة** تستغرق **ثلاثين ساعة.**
- **في الفصل الثاني** من **السنة الأولى:**

ثلاث مقررات، من أصل ستة.. هي:

- **تقنيات التعبير** ثلاثون ساعة.
- **مدخل إلى علوم البلاغة والأساليب** خمس وأربعون ساعة.
- **التطور اللغوي** خمس وأربعون ساعة.

- **في السنة الثانية،** ذاتِ الفصلين، والاثني عشر مقررًا.. **لا يوجد أي مقرر أو رصيد لغوي..**
- **في السنة الثالثة، مقرران لغويان** هما:

- مسائل ألسنية عربية ثلاثون ساعة
- علم الدلالة خمس وأربعون ساعة للفصل الأول

ومقرر واحد للفصل الثاني، هو **فقه اللغة العربية** ثلاثون ساعة

- **السنة الرابعة، مقرران للفصل الأول** هما :

- **منهجية تعليم اللغة العربية** ثلاثون ساعة
- **حلقة دراسية في الألسنية** خمس وأربعون ساعة

ولا شيء في الفصل الثاني

فيكون **مجموع المقررات اللغوية لجميع سنوات الإجازة الأربع: عشرة،** خُصّص لها 385 ساعة، من أصل 2025 ساعة لجميع المقررات أي نسبة 19 % تسعة عشر في المائة أو ما يقرب من خمس المجموع العام.

أول الملاحظات هي، خلوُّ الإجازة كلها من مادتي الصرف والنحو **ومدارسهما،** إلا إذا كانت مادةُ (مقرر الكفاية اللغوية) قد تضمنتْهما بصورة أو بأخرى.

ثانيتها، خلوّ السنة الثانية تمامًا من أي مقرر لغوي.

ثالثتها، غلبة مقرر الألسنية على ما عداه من المواد اللغوية.

رابعتها، تميُّزُ هذه الكليّة بتخصيص عدد كبير من الساعات (270 ساعة) **لمذكّرة بحث** في اللغة العربية وآدابها. ولا ندري ما نسبة اللغة في هذا البحث؛

ونرجح أنه بحث أدبي تحليلي أو نقدي عام لا تدخل اللغة فيه إلاّ في الأسلوبية والتركيب.

الملاحظة الخامسة، أنَّ مقرّرات شهادة **دبلوم الدراسات العليا**، البالغة ستّة، و 420 ساعة، لا يوجد فيها مقرر واحد للغة العربية..

وكذلك شهادة **الدكتوراه..**

- **جامعة سيدة اللويزة N.D.U** تأسست في لبنان سنة 1987.

تتألف جامعة اللويزة، من عدد من الكليات، بينها: **الفنون والعلوم الإنسانية، كلية التربية، كلية العلوم، كلية الهندسة، كلية إدارة الأعمال والاقتصاد، كلية الفنون والهندسة المعمارية.**

مما يجدر ذكره ههنا أن **اللغة العربية ، مقرر إجباري**، يدرَّس في جميع الكليات فيما عدا **كلية إدارة الأعمال**، فهي اختيارية، وتعطى ثلاث ساعات أسبوعياً، في معظم فصول السنة الأولى، و**كلية الهندسة** التي لا يعطى فيها شيء حولها.

وبسبب غياب التخصص في اللغة العربية وآدابها، باستثناء قسم التربية في كلية الإنسانيات، الذي يُعِدُّ إجازة في الأدب العربي، فإن اللغة العربية لا تحظى في مختلف الأقسام أو بعضها، أكثر من مقرر واحد، يعطى في فصل واحد، في ثلاث ساعات أسبوعيًا، كما هي حال كلية العلوم النظرية والتطبيقية، والعلوم السياسية..

أما **مقرر اللغة في قسم التربية** فهو على جانب من الغنى والتفصيل، حيث تكون المحاضرات فيه باللغة العربية، في أكثر من مقرر، نذكر منها: **علم النحو = Syntax وقواعد العربية، واللسانيات**، التي يعطى كل منها في ثلاث ساعات أسبوعياً..

يتضح مما أوردنا **أن العناية باللغة العربية ليست كبيرة ولا مباشرة، وما تدريسها في هذه الجامعة إلا لإعداد الطلبة لحسن التكلم بالعربية وسلامة التخاطب**، ولكن في حدود ضيقة .. ومثل ذلك لا يقدح في نظامها وسيرورة النشاط العلمي المتبع فيها.. فهي في الأصل مؤسسة تعليمية قامت بدوافع تربوية دينية للطائفة المارونية، ولم تتطور وتُجارِ التطورَ الحضاريَّ والاجتماعي للحياة العامة في لبنان، كما حصل مثلاً، للجامعة اليسوعية.

- **جامعة سيدة البَلَمَنْد** = Balamand تأسست سنة 1988

أنشئت هذه الجامعة بتشجيع من بطريرك إنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس **اغناطيوس هزيم** الذي قام بمساعدة فعاليَّات سياسية واقتصادية أرثوذكسية في لبنان، ببناء المنشآت الأولى، ثم أخذت تتسع وتتعدد فيها الكليات، شيئًا فشيئًا، لتضم ما يزيد على عشر كليات، نذكر منها:

كلية الفنون والعلوم الاجتماعية، كلية إدارة الأعمال، كلية الهندسة، كلية الصحة، كلية العلوم الطبية، كلية العلوم السياسية ...

وأغناها لغةً وأكثرها فروعًا أو أقسامًا: **كلية الفنون والعلوم الاجتماعية**، التي تشتمل على أقسام: **اللغة الإنكليزية، والترجمة واللغات، والتربية، والتاريخ، والفلسفة، والإخراج المسرحي والكتبي والإعلامي..**

حيث تُدْرس اللغةُ العربية، مقررًا واحدًا أو مقرَّرين إلزاميين في جميع الأقسام المذكورة، كما هي الحال في **قسم الترجمة واللغات** التي تدرّس مقررين **1 و2** ، ثلاث ساعات أسبوعيًا لكل منهما؛ وكذلك في **قسم التربية** الذي يُعِد أساتذة لتعليم اللغة العربية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وقل مثل ذلك في فرع التخصص في الأدب العربي الذي يوجب على الطالب دراسة اللغة بمقرَّرين: الأول والثاني ..

وأما المقرَّر غير الإلزامي، فهو يُعطى لمختلف طلبة الأقسام، في معظم الكليات الأخرى، بما في ذلك، كليات العلوم: طبّية كانت أم تطبيقية أم اقتصادية أم تجارية؛ فهي تبيح اختيار مقرر **العربية** من بين مقررات لغوية أخرى، أجنبية..

أهم الملاحظات في هذا الصدد أن هذه الجامعة الكبيرة، ذات المنشآت الضخمة المبنية بأعلى المستويات الهندسية والفنية، فوق هضبة تشرف على شاطئ البحر المتوسط، إلى الجنوب من مدينة طرابلس، **لم تُفرد قسمًا خاصًا للغة العربية ولا آدابها**، ولم **تنشئ كلية بهذا العنوان**، مشْبهة بذلك جامعة **سيدة اللويزة**. وهذا يستتبع **استنتاجًا : أن ما يعطى من علوم العربية**، سواء أكان في الأقسام الإنسانية لا سيما التربوية، أم الترجمة، **لا يدخل في عمق اللغة وقواعدها ومدارسها**، بل **يقف عند أطر الإلمام السليم بوسائل الخطاب والمحاورة الصحيحة** باللغة العربية وأساليبها العامة التي يحتاجها المتكلم والكاتب على السواء.

ثانيًا – فئة الجامعات والمعاهد ذات الانتماء الإسلامي

يتفاوت الاهتمام باللغة العربية في الجامعات الإسلامية في لبنان، ما بين جيد ووسط وإهمال؛ وسنفاجأ بحقيقة مرّة هي أنَّ **هذه الجامعات والمعاهد**، أقلّ **عناية بالعربية من الجامعات والمعاهد المسيحية**، ممَّا يترتب على ذلك نتائج غير مشرِّفة.

وأبادر إلى القول بأن **ليس هناك جامعات إسلامية كبرى**، حتى من الدرجة الثانية، على الرغم من أنّ بعضها قد مضى على تأسيسه قرابة قرن من الزمان، وبعضها الآخر لم يتطور، ولم يعزِّز موقعه وحضوره وميادينه التعليمية ...

- **جامعة الجنان** أُنشئت سنة 1988م في مدينة طرابلس..

تتألف من أربع كليات هي: **إدارة الأعمال، الآداب والعلوم الإنسانية، الإعلام، الصحة.**

اللافت في هذه الجامعة وفي كلية الآداب تحديدًا، أنها لا **تضم قسمًا خاصًا في اللغة العربية**، بل تضمُّ **قسمًا للدراسات الإسلامية**، تمنح فيه إجازة..

ومما يدرس في هذا القسم:

السنة الأولى : النحو، حصة واحدة أسبوعيًا، مقدارها ساعة ونصف الساعة على فصلين.

السنة الثانية: علوم البلاغة، حصة واحدة أسبوعيًا، مقدارها ساعة ونصف الساعة. على فصلين.

السنة الثالثة: الصرف، حصة واحدة أسبوعيًا، على فصلين.

السنة الرابعة: طرق تدريس العربية، حصّتان أسبوعيًا (ثلاث ساعات)، وهي مرشّحة للإلغاء.

واللافت أيضاً أن الجامعة قد افتتحت مؤخّرًا شعبة للتعليم العالي، تحضَّر فيها شهادات الدبلوم العليا والدكتوراه، بينها اللغة العربية وآدابها، لكنها لم تخصّ اللغة العربية إلاّ بحصة واحدة لعلوم العربية، كل أسبوع، على فصلين، ولا شيء بعدُ للدكتوراه ..

أما **سائر الكليات، فاللغة العربية، فيها رصيد أسبوعي إلزامي لفصل واحد،** في أقسام **كلية الإعلام**، واختياري في الكليات الأخرى.

- **الجامعة الإسلامية في لبنان** تأسست سنة 1996 في خلدة (ضواحي بيروت).

تتألف هذه الجامعة من **خمس كليات، وثلاثة معاهد عليا.**

١ -**كلية الهندسة، كلية الحقوق**

٢ -**كلية العلوم السياسية والإدارية، كلية الاجتهاد (الشريعة)**

٣ -**كلية العلوم**

والمعهد الجامعي للتكنولوجيا التطبيقية، المعهد العالي للّغات والترجمة، المعهد العالي للإدارة.

تدرَّس **اللغة العربية** في **فصل واحد،** لمعظم أقسام الكليات، إلزاميًا، وتدرَّس كذلك في المعهد العالي للغات والترجمة، من خلال قسم الدراسات العليا، وتعطى فيه مادة **قضايا لغوية وأدبية،** على مدار السنة، فيما يقرب من ساعتين أسبوعيًا.

وليس هناك أي اهتمام آخر، فيما خلا ما يقتضيه الإعداد للرسائل والأطاريح، لكل من دبلوم الدراسات العليا، والدكتوراه، المفتتحتَيْن حديثًا لطلبة اللغة العربية وآدابها..

مَثَلها في ذلك مَثَل جامعة الجنان؛ ليس فيهما كلية آداب، ولا قسم خاص باللغة العربية، ومع ذلك تُعِدَّان للماجستير والدكتوراه في العربية وآدابها.

- **الجامعة العالمية** تأسست في بيروت سنة 1992 تشرف عليها **جمعية المشاريع الإسلامية.**

مؤلفة من ثلاث كليات:

كليات الآداب والعلوم الإنسانية، كلية إدارة الأعمال، كلية العلوم الصحية.

تمتاز هذه الجامعة بخاصيَّة انفردت بها عن سائر الجامعات اللبنانية، ألا وهي **إيلاء اللغة العربية القدْر الأعلى من الرعاية والعناية،** وفق ما نرى بتوزيع مواد التدريس التي تخص قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، لا سيما شعبة الماجستير.

تشتمل كلية الآداب على عشرة أقسام، بينها: اللغة العربية، والتاريخ، والآداب الأجنبية، والفلسفة وعلم النفس، والجغرافيا وغيرها..

– **يُلزم الطالبُ فيها جميعًا، بدراسة العربية** صرفًا ونحوًا، وقراءة وكتابة، على مدى الفصلين من السنة الأولى ..

– تَمنحُ كليةُ الآداب ثلاث شهادات عليا هي: **الإجازة والماجستير والدكتوراه.**

– **يُدرس في الإجازة** كل من **النحو والصرف والبلاغة وتقنيات التعبير**، فضلاً على مقرَّر خاص **للقراءة** وأصولها وأحكامها، مفصلة كما يلي:

السنة الأولى: قراءة وكتابة (ساعتان) **نحو** (خمس ساعات) **صرف** (3 ساعات) **بلاغة** (ساعتان) **تقنيات التعبير** (ساعتان) أسبوعيًا.

السنة الثانية: نحْو (4 ساعات)، **صرف** (ساعتان)، **بلاغة** (ساعتان) أسبوعيًا.

السنة الثالثة: نحْو (4 ساعات)، **صرف** (ساعتان)، **بلاغة** (ساعتان) أسبوعيًا.

السنة الرابعة: مقرر لغوي عام، لتطبيق علوم النحو والصرف والبلاغة (ساعتان) أسبوعياً.

فيكون **مجموع ساعات العربية** وعلومها لجميع السنوات: **اثنتين وثلاثين ساعة** أسبوعياً، وثمانمائة ساعة سنويًا.

أما **الماجستير** ، فالمواد التي تعطى، والساعات المخصصة، فهي عديدة تقْربُ من الاكتفاء. وإليكم بعض التفاصيل..

هناك ستة مقررات لطلبة السنة الأولى من اللغة العربية من أصل عشرة مقررات عامة، موزعة كما يلي:

١ -**منهجية البحث اللغوي والأدبي.**

٢ -**فقه اللغة.**

٣ -**قضايا لغوية** بينها (مسائل في علم الألسنية، وتطور اللغة، واللحن والخطأ الشائع).

٤ -**علم المعاجم العربية:** وظيفتها وتطورها (من معجم العين .. حتى المعجم الوسيط).

٥ -**قضايا نحوية وصرفية.**

٦ -**المصادر الأدبية واللغوية.**

مجموع ساعاتها الأسبوعية ستَّ عشرة ساعة، من أصل ثلاثين لجميع المقررات، وما يقرب من الثلاثمائة ساعة للفصل الواحد.

يتبين لنا من القوائم والأرقام الواردة أعلاه أن **هذه الجامعة وضعتْ نصْب عينيها** غاية سامية **هي عَصَبُ اللغة العربية،** فأفردت له المقررات اللازمة لمعرفة اللغة العربية: قواعد وأصولاً وأساليب، وطُرقَ اهتداء إلى ماهية القراءة والكتابة، سواء أكان ذلك في الإجازة أم في الماجستير، فأكملت ما بدأَتْه في الأولى، في الثانية، وعمّقتْه وأضافت مسائل وقضايا لغوية أخرى، **إيماناً منها بقدسية هذه اللغة، وعظم رسالتها ودورها في تصويب المسار، وعلاج الأدواء المستشرية في جسد اللسان العربي الذي يشهد اليوم، واقعًا أقرب ما يكون إلى المأساة، لغربة المواطن والوطن عن موارد اللغة وكتبها، ونصاعة بيانها وقوة شكيمتها في بناء الإنسان ودفعه إلى الأمام في سلك التطور الحضاري والعلمي المطّرد.**

كلية المقاصد الإسلامية في بيروت

لعلها أقدم الصروح التعليمية الإسلامية في لبنان، تأسست سنة 1879م..

لكن هذه العراقة القِدميَّة لا يواكبها شيء من عراقة الحضور والفاعلية..

فالصرح الجامعي العالي فيها، الذي يولي اللغة العربية شيئًا من الاهتمام، هو:

معهد الدراسات الإسلامية، تُعطى فيه ثلاث ساعات أسبوعيًا، لكلا النحو والصرف، بعامة، لسنة واحدة، وربما لفصل واحد.

وهناك معهدان عاليان آخران، **للعلوم الصحية، وإدارة الأعمال،** تدرّس فيهما العربية على هامش المقررات الأساسية المطلوبة..

ولدى سؤالي لعميد المعهد الإسلامي في المقاصد، الدكتور **هشام نشَّابة** أجابني بأن **لا إجازة، ولا دبلوم عليا، ولا دكتوراه، في هذه الكلية ..**

أيُّ كلمةٍ أُعقِّب بها ههنا؟ ليس لديَّ غير الأسف الشديد أبتلع لعابه في الحلق، بما يفوق العَلْقم كي لا أقول أكثر من ذلك ..

- **كلية الإمام الأوزاعي**

تأسست في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، أي في حدود سنة 1980م.

وهي تضم أقسامًا معدودة في الإسلاميات، بينها: **قسم الدراسات الإسلامية** وتدرّس فيه اللغة العربية على النحو الآتي:

السنة الأولى : قواعد النحو الوظيفي. ساعة واحدة أسبوعيا.

السنة الثانية : علوم بلاغية وعروضية، ساعة واحدة أسبوعيا.

السنة الثالثة : مسائل لغوية وبلاغية، في موضوع: فصل الجمل وإعرابها، ساعة واحدة.

السنة الرابعة : خصائص اللغة وطرائق تدريسها، ساعة واحدة.

أي ما مجموعه **مئة ساعة،** لجميع السنوات الأربع.

تَمنح الكلية **الإجازة والماجستير والدكتوراه،** في اختصاصاتها المحدودة وليس فيها شهادة واحدة في اللغة العربية وآدابها.

وأغرب ما يُلحظ في هذا الصدد، أن **طلبة هذه الكلية،** في شعبتَي الماجستير والدكتوراه، **لا يُطلب منهم دراسة اللغة العربية بصورة إلزامية،** بل دراسات إسلامية وعَقَديَّة، قد تدخل اللغة فيها كعامل من عوامل فهم الدروس الإسلامية.

وتعقيبي هنا، هو نفسه الذي أوردتُه أعلاه، على واقع كلية المقاصد.

- **معهد طرابلس الجامعي** تأسس في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي.

يَمنح هذا المعهد شهادتي **الإجازة ودبلوم الدراسات العليا في العلوم التربوية الإسلامية، والشريعة الإسلامية؛** نصيب اللغة العربية من دروسهما، ما يلي:

السنة الأولى: صناعة الكتابة (ساعتان)، **صرف ونحو** (أربع ساعات) أسبوعياً.

السنة الثانية: بلاغة (ساعتان)، **صرف ونحو** (ساعتان) أسبوعياً.

السنة الثالثة: صرف، ونحو فقط، ساعتان أسبوعيًا.

السنة الرابعة: بلاغة ساعتان أسبوعيًا.

ولا شيء غير ذلك.

اللافت ههنا، **اهتمام المعهد بصناعة الكتابة وبلاغة اللغة،** التي قلَّما تُعنى بها المعاهد الإسلامية.. وهو ملمح إيجابي حيال تعليم اللغة العربية التي **تشكل بلاغةُ القول فيها حجرَ الأساس في قداستها وسموّها على سائر اللغات.**

- **معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية**، في بيروت أنشئ حديثًا.. وهو معهد تؤأم **لكليّة الدعوة الإسلامية** في **طرابلس الغرب**.

يَمنح **إجازة في اللغة العربية، والدراسات الإسلامية**. وتُعطى فيه المفردات اللغوية الآتية، بمحاضرتين أسبوعيًا (ثلاث ساعات)، على مدار السنوات الأربع..

النحو والصرف، تدريبات لغوية، علوم بلاغة.

هذا ما أفادني به أمين سر المعهد، الأستاذ **ماجد العويني**..

الشعور نفسه الذي ينتاب كل غيور على العربية وعلومها! **كلّما عرضْنا لواقع التعليم في مؤسساتنا الإسلامية، ازدادتْ نسبة الألم، واتَّضح الأفق القاتم لواقع هذه الأمة، وما ينتظرها من نكسات أخرى وتقهقر، يجعلها تابعة لا متبوعة، تعيش على ذكريات الأمجاد الغابرة وتتسكع في حاضرها، على أبواق التبجّح الأجوف في مختلف المناسبات الوطنية والدينية والقومية**.

<u>ثالثًا : الجامعات الكبرى</u> (غير المنتمية إلى طوائف دينية)

- **الجامعة الأميركية في بيروت**، تأسست سنة 1866 م.

تشتمل على ما يقرب من عشر كليات في مختلف الاختصاصات العلمية والتطبيقية.. وليس فيها كلية للآداب والعلوم الإنسانية.. بل ما يعرف **بدائرة اللغة العربية واللّغات الشرق أوسطيّة**، التابعة **لكلية الآداب والعلوم والفنون**.

تمنح الآن شهادة **الإجازة والماجستير** في اللغة العربية وآدابها.

وكانت تمنح شهادة الدكتوراه، لكنها توقفت إبان الحرب الأهلية اللبنانية سنة 1975.

وفي نظرة عامة لمقررات دائرة اللغة العربية، يتبين لنا أن هناك **ثلاث وثلاثين حصة تدريس** = Crédits ، لجميع المواد المدرَّسة في السنة الأولى من سنوات الإجازة، بينها ثلاث حصص فقط: **للقواعد، والبلاغة والتعبير الفني.**

وإذا ما تقدمنا في الاطلاع، نحو مقررات الإجازة، طالعتْنا المقررات اللغوية الآتية:

١ – **قراءات العربية عبر العصور**، من العصر الجاهلي حتى عصر ابن خلدون I و II .

٢ – **العربية** المحسَّنة (للأجانب).

٣ – **أسس العربية** في قواعد الصرف والنحو.

٤ – **العربية للمبتدئين** في أربعة مستويات: I وII وIII وIV وتُعنى بالمعجم اللغوي مفرداتٍ وتراكيب، والقواعد، والبناء اللغوي.

٥ – **أسلوبيات اللغة العربية**، تُدرس فيه علوم البلاغة.

٦ – **الترجمة والتعريب**، من الإنكليزية إلى العربية والعكس بالعكس.

٧ – **قواعد ولغة عربيّة**، تعنى بدراسة النصوص وإعرابها نحويًا وبلاغيًا.

٨ – **لسانيات عربية**، (فقه لغة، ولهجات، ودلالات ..)

بعض هذه المقررات يعطى في فصل واحد، كالمقرر الخامس (الأسلوبيات) ومعظمها يدرس في فصلين؛ ومدة كل مقرر ثلاث ساعات أسبوعيًا.

أخلص إلى أن **الجامعة الأميركية ليست اليوم، كما هي في الأمس البعيد حيث الحركة الأدبية واللغوية مع أعلام كبار درسوا** فيها ودرّسوا، **كإحسان عباس، وخليل حاوي، وسابا زريق** وغيرهم من كبار كتاب العربية المعاصرين وشعرائها.

حيث لا نكاد نسمع بواحد من ذلك المستوى والدويّ، والسبب، فتور العناية باللغة العربية وآدابها.

- **جامعة بيروت العربية** تأسست سنة 1960.

أُنشئت هذه الجامعة في بداية الأمر، فرعًا آخر **لجامعة الإسكندرية** وهي لا تزال في الخط التعليمي نفسه على شيء من الاستقلال والذاتية..

تشتمل على عدد من الكليات النظرية والتطبيقية، **ككلية الآداب والعلوم الإنسانية، والتجارة، والحقوق، والطب، والهندسة، والصيدلة** وغيرها..

والكلية الوحيدة المهيّأة للعناية باللغة العربية هي كلية الآداب والعلوم الإنسانية التي تحتوي على تسعة أقسام، تُدرس العربية فيها جميعها، إلزاميًا، في السنة الأولى، ساعتين أسبوعيًا، وبعض الأقسام تدرس العربية فيها لثلاث سنوات متتالية، رصيدًا أسبوعياً واحدًا لساعتين، كقسم اللغة الفرنسية، ولسنتين متواليتين كقسم اللغة الإنكليزية.

وترتفع النسبة ارتفاعًا ملحوظًا في قسم اللغة العربية، حيث **يبلغ عدد الأرصدة اللغوية في سنوات الإجازة أحد عشر رصيدًا** أو مقررًا، من أصل **تسعة وثلاثين رصيدًا**، أي **ما نسبته ربع المقررات**، وعدد ساعاتها **سبع وعشرون ساعة** أسبوعيًا، من أصل سبع وثمانين ساعة، أي ما **نسبته الثلث تقريبًا** . وهي نسبة عالية حيال معظم ما رأيناه في الجامعات والمعاهد الأخرى.

وإليكم بعض التفاصيل لما يعطى من مواد اللغة العربية أو أرصدتها:

السنة الأولى: (من الإجازة) **النحو والصرف والتطبيقات** (ثلاث ساعات أسبوعياً) **مدخل إلى البلاغة** (ساعة واحدة أسبوعيا).

السنة الثانية: النحو والصرف والتطبيقات (ثلاث ساعات أسبوعياً) **علم اللغة النظري** (ساعتان أسبوعيًا) **البلاغة العربية** (علم البيان والبديع) (ساعتان أسبوعياً) **علم المعاجم** (ساعتان أسبوعياً).

السنة الثالثة: النحو والصرف والتطبيقات (ثلاث ساعات أسبوعياً) **فقه اللغة** (ساعتان أسبوعياً) **علم اللغة التطبيقي** (ساعتان أسبوعياً).

السنة الرابعة: النحو والصرف والتطبيقات (ثلاث ساعات) **البلاغة العربية** (علم المعاني) (ساعتان أسبوعياً).

أما في **دبلوم الدراسات العليا** (الماجستير) فالنسبة الكبيرة السابقة، تتدنى إلى أربع ساعات فقط أسبوعيًا، فتدرس المقررات الآتية:

١ - **علم اللغة: ساعتان.**

٢ - **مناهج البحث في اللغة**، ساعة واحدة.

٣ - **موضوع بحث خاص باللغة**، ساعة واحدة..

بينما ترتفع النسبة قليلاً، في :**الدبلوم العام في الترجمة**، كما يلي:

ساعة واحدة أسبوعيًا، لكل من المقررات الآتية:

- **مقارنة بين العربية والإنجليزية.**
- **الترجمة إلى الإنجليزية.**
- **الترجمة إلى العربية.**
- **ترجمة متخصصة إلى العربية.**

- **ترجمة متخصصة إلى الإنكليزية.**

وثلاث ساعات، لعلم المعاجم.

وساعتان **للصرف والنحو والتركيب.**

أي ما مجموعه عشر ساعات أسبوعياً..

جدير بالذكر ههنا أن **الجامعة العربية قد أولت اللغة العربية قدرًا ملحوظًا من العناية والدرس،** فخصَّت عصَب اللغة وعمودها الفقري ألا **وهما علما النحو والصرف** بحصص وافرة من الدروس والساعات، كذلك القول في **البلاغة العربية** التي أعطتها ما لم تعطها مؤسسة عالية أخرى، رصيدَيْن مقررين مستقلين، فاصلةً بهما بين **علمي البيان والبديع** من جهة، **وعلم المعاني،** من جهة ثانية مؤخرةً هذا الأخير للسنة الرابعة، لأنه الأصعب والأعلى منزلة في جمالية التكوين اللغوي وتبيان دلالاته الوظيفية وأحواله، وسنرى أن الجامعة اللبنانية، وهي الأكثر احتفاء باللغة العربية وعلومها، لم تعطها أكثر من رصيد واحد، في ساعتين.

بقي أن نقول إن **كلية الآداب في الجامعة العربية،** تُعِدُّ لشهادات عليا ثلاث هي **دبلوم الدراسات العليا** ، في مختلف أقسامها، ثم **الماجستير،** ثم **الدكتوراه،** وللعربية في مقرراتها نصيب واضح، فتُدرس اللغة مستقلة ومشتركة مع الأدب، أو مع لغة أخرى مقارنة أو مترجمة. **فيُدرس في قسم اللغة العربية: مناهج البحث في اللغة والأدب، وعلم اللغة، وموضوع خاص في اللغة والأدب،** وتُدرس في **دبلوم الترجمة: اللغويات التقابلية، الترجمة العامة إلى العربية، والترجمة المتخصصة إلى العربية، وعلم المعاجم ، ونحو وصرف ومعاجم** (لغة عربية). وفي هذه الأرصدة، عناية ملحوظة في العربية، تفوق مثيلتها في دبلوم اللغة العربية.

- **الجامعة اللبنانية الأميركية L A U**

تأسست هذه الجامعة في بيروت سنة 1970، واتخذت لها تسميات مختلفة: وهي **B.C.W** في بداية الأمر، ثم **B.U.C** سنة 1973، وكانت في مراحلها الأولى معاهد وكليات، لتصبح جامعة في تشرين الأول سنة 1992، ثم اصبح اسمها ابتداء من سنة 1994 **L.A.U**

وهي تضم **عدة معاهد وكليات،** لكل من **الفنون والعلوم، وإدارة الأعمال، والهندسة المعمارية، والصيدلة.** وليس فيها معهد أو كلية للآداب..

وبعد الاطلاع الحاسوبي المرئي (internet) تبين لي أن ما يعطى فيها من مقررات اللغة العربية، لا يعدو كونه **إعدادًا لقراءة النصوص العربية وكتابتها** وشيئًا من دراستها وتحليلها، في معظم السنوات الأولى من المعاهد المذكورة، وهي المسماة «فْرَشْمن Freshman» فنقرأ الأرصدة الآتية:

أ – في شعبة الفنون :

- **قواعد أولية لقراءة النصوص وكتابة الموضوعات**
- **المقالة العربية للكتابة والقول Arabic Essay Reading & Writing** (مقرر رقم I)

ب – في شعبة العلوم: المقرران أعلاه إياهما، مع إعطاء رقم II **للمقرر الثاني.**

ج – مقررات أخرى أبعد مدى من ذي قبل:

- **قواعد العربية.**
- **البلاغة العربية.**
- **إبداع الكتابة.**

- **مبادئ الترجمة والتعريب** من الإنجليزية إلى العربية، والعكس بالعكس.

وقد خُصص لكل مقرر ثلاث ساعات أسبوعيًا، وتعطى لفصل واحد يختاره الطالب عبر سنوات تخصصه.

وهكذا نرى **أن نصيب العربية في هذه الجامعة شبه معدوم،** لا يكاد يلتقي في شيء مع **الجامعة الأميركية** الكبرى في بيروت.. ولا أثر لتغيير يذكر في المدى المنظور، لكنها مع ذلك – أي هذه النسبة – أكبر بكثير مما رأينا في عدد من الكليات والمعاهد الإسلامية..

- **الجامعة اللبنانية** تأسست في بيروت سنة 1951.

«**الجامعة اللبنانية** هي **المؤسسة الرسمية الوحيدة في لبنان،** التي تقوم بمهام التعليم العالي الرسمي في مختلف اختصاصاته ودرجاته، وبالحثّ وبالإعداد والتدريب المستمرّ، بحيث تحقق الجامعة دورها الوطني والإنساني والإنمائي لمختلف القطاعات والمناطق»[٩].

بدأتْ أولُ نواة للجامعة اللبنانية بإنشاء **دار المعلمين العليا ومعهد للإحصاء.** كان ذلك عام 1951. وفي سنة 1953 استُحدث مركز أو **معهد الإدارة والمال،** واستبدل اسم دار المعلمين العليا، باسم **معهد المعلمين العالي،** ليصدر عام 1959 مرسوم تنظيمي ينظم هيكلية الجامعة واستقلالها المالي والأكاديمي الذي لم يترسَّخ إلاّ في سنة 1967.

وتضم **الجامعة اللبنانية** ما يزيد على **الأربع عشرة كلية ومعهدًا،** بينها:

---

٩ – انظر «**دليل الجامعة اللبنانية**» (586 ص) الصادر عن الجامعة اللبنانية، بيروت، ص9.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية، كلية العلوم، كلية التربية، كلية الإعلام والتوثيق، كلية الهندسة، كلية الصحة، معهد الفنون الجميلة، معهد العلوم الاجتماعية...

معظم هذه الكليات والمعاهد، لا يُدرِّس اللغة العربية ..

وينحصر تعليم اللغة العربية في **كلية الآداب والعلوم الإنسانية،** وفي **كلية الإعلام.**

١ – **كلية الآداب:** تتألف هذه الكلية من تسعة أقسام هي: **اللغة العربية، الأدب الفرنسي، الأدب الإنكليزي، التاريخ، الجغرافيا، علم النفس، الفلسفة، اللغات،** قسم خاص **للغة الفارسية.**

أ – **الإجازة**

تدرّس اللغة العربية، كرصيد إلزامي، في السنة الأولى لجميع الأقسام، مقرَّرًا أسبوعيًا مدته أربع ساعات، باستثناء قسم اللغة الإنكليزية.

أما في **قسم اللغة العربية،** فقد خُصَّت العربية بأقل من ثلث المقررات العامة المدرَّسة في السنوات الأربع، وفقًا للتوزيع الآتي:

السنة الأولى: الصرف والنحو (أربع ساعات)، **المدارس النحوية** (ساعتان)، **تقنيات التعبير والإلقاء** (ساعتان)، **مصادر الدراسة اللغوية** (ساعة واحدة).

السنة الثانية: الصرف والنحو (ساعتان)، **علوم البلاغة العربية** (ثلاث ساعات)، **مبادئ الألسنية** (ثلاث ساعات)، **علم المعاجم** (ساعة واحدة).

السنة الثالثة: الصرف والنحو (ثلاث ساعات)، **الألسنية** (علم الدلالة، علم الأصوات، علم التراكيب)، (ثلاث ساعات).

السنة الرابعة: فقه اللغة العربية (ثلاث ساعات) **الألسنية والعلوم الإنسانية** (ساعتان).

يُمنح الطالب في نهاية السنوات الأربع، إجازة تعليمية في اللغة العربية وآدابها، تخوِّله للتعليم في مدارس المرحلة الثانوية.

وفي عملية حسابية إحصائية، نحصل على النسب الآتية:

مجموع أرصدة الإجازة، في قسم اللغة العربية، **أربعة وأربعون رصيدًا**، بينها اثنا عشر رصيدًا يختار منها الطالب واحدًا، كل سنة، ليصبح مجموع أرصدته المطلوبة ستة وثلاثين رصيدًا، لكل سنة دراسية تسعة أرصدة..

وتكون نسبة العربية في هذا المجموع: أربعة عشر رصيدًا من أصل أربعة وأربعين، عدد ساعات التدريس الإجمالي 114 ساعة (مئة وأربع عشرة ساعة) وعدد ساعات تدريس العربية 34 ساعة (أربع وثلاثون ساعة).

فالنسبة العامة: 30 %، **حوالي الثلاثين في المئة**.

ب – دبلوم الدراسات العليا

مدة الدراسة والإعداد سنتان، يتلقى الطلاب في السنة الأولى المقررات الآتية وفقًا للمحاور الأربعة، يختار الطالب أحدها؛ ولكل محور ستة أرصدة، ثلاثة إلزامية في جميع المحاور، واثنان اختياريان، وفقًا لاختصاصه.

ولا **تدرّس اللغة العربية إلاَّ في محور اللغة** فقط، أما المحاور الثلاثة الأخرى، وهي: **الأدب، والنقد، والحضارة**، فليس فيها رصيد واحد للغة..

وأما **أرصدة اللغة**، في **محور اللغة**، فهي:

١ –**قضايا لغوية قديمة** (قضايا نحوية وصرفيّة ومعجمية، قضايا بلاغية وعروضية ...).

٢ -**قضايا الألسنية العامة** (يُدرس فيها ملامح عامة لمدارس الألسنية، كالتوليدية والتحويلية، والمدرسة الوظيفية) إلى جانب ميادين الأسلوب، وعلم الأصوات، وعلم الدلالة، والسيميائية.. كلها من نصوص عربية قديمة وحديثة).

٣ -**قضايا الألسنية التطبيقية** وهي دراسات في العلاقات الناشئة ما بين علم اللغة والعلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والأنتروبولوجيا، وغيرها ..

ج - الدكتوراه اللبنانية

لا يعطى فيها أي رصيد علمي.. ويُكتفى بإعداد أطروحة، يوافق على موضوعها أستاذ مشرف بناء على تصميم موسّع وحيثيات موجبة وغايات مرصودة، مذيل بقائمة المصادر والمراجع .. ثم تحال إلى لجنة عليا مختصة، توافق أو ترفض أو تعدِّل مع التعليل، ثم تصدر الموافقة من عميد الكلية.

٢ - كلية الإعلام والتوثيق

يفيد كتاب «**دليل الجامعة اللبنانية** » الذي عدتُ إليه، أن ما يعطى من دروس في اللغة العربية، لا يتجاوز المئة ساعة، في السنتين الأولى والثانية، خمسون ساعة لكل منهما، ضمْنها خمس وعشرون ساعة **لفن الإلقاء ومخارج الحروف.**

نظرة تقويمية عامة

لواقع تعليم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية بخاصة، **وسائر المؤسسات التعليمية**، بعامة.

لا يسعني، وأنا ممن أمضى في التعليم الجامعي، في كلية الآداب، في الجامعة اللبنانية، ثلاثة وعشرين عامًا. وكنتُ أمضيت فيها خمسًا أخرى لنيل الإجازة التعليمية في اللغة العربية وآدابها سنة 1965، خابرًا واقعها وماضيها، إلاّ أن أُعقِّب بهذه السطور التي تتضمن شيئًا من **الانحياز الذاتيّ** – بفعل العِشْرة الطويلة – وأشياء في **النقد والمحاسبة**، لعلني أبلغ مستوىً من الرضا والقبول بيني وبين نفسي، وأنا أمارس مسؤولية الكلمة والنقد الموضوعي المحايد.

- **في الانحياز الذاتي**

- لقد خرَّجت الجامعة اللبنانية، في كلية الآداب، آلاف الطلاب، ومئات الكتاب والباحثين الذين يحتلّون الصدارة في البحث والتأليف، ويَعْتلون منابر الأندية والمؤتمرات والمناسبات الخاصة والعامة..

- **معظم الجامعات الخاصة** والمعاهد الثانوية، **تستعين**، في معظم هيئات التدريس فيها، **بأساتذة وكتاب كبار تخرَّجوا في الكليات والمعاهد التابعة للجامعة اللبنانية.** ولو طُبّق قانون التفرغ المفروض على الأساتذة العاملين في الجامعة اللبنانية، لتعطلتْ صفوف كثيرة وأغلقت معاهد شتى.

- مرَّ على **كلية الآداب** أزمنة، كان التعليم فيها في أرفع درجاته العلمية والإنتاجية، وكان بعضهم محطَّ أنظار الصحافة، ودور النشر، ومرافق الإعلام.. وأذكر على سبيل المثال: الشيخ الدكتور **صبحي الصالح،** والدكتور **بطرس البستاني** صاحب «**أدباء العرب** » في مختلف العصور الأدبية، والدكتور **أنطون غطاس كرم،** صاحب القلم الأدبي واللغة البيانية الناصعة، والدكتور **جبور عبد النور** والدكتور **سعيد البستاني** والشيخ **عبد الله العلايلي** والدكتور **عفيف دمشقية** وغيرهم ممن رحل وأصبح في ذمة الله والتاريخ..

ولن أذكر أحدًا من الأحياء كي لا أقع في خطأ التقويم والعتاب، وفيهم الكثير من أعلام اللغة والأدب، والتأثير والحضور البالغين في ساحات الكتابة والخطابة...

- **في النقد والمحاسبة**

- لا يسعني أيضًا، **وقد تعطَّر القلم بذكر أسماء جليلة وفاضت فيَّ قريحة الحنين والعرفان لشخوصهم وآثارهم القيمة،** إلاّ أن **أستشعر الحزن والمرارة** لِما آلت إليه أقدار الطلبة الذين يتلقون العلوم والآداب، على أساتذة لا يتمتعون بالكفاءة والأهلية، فضلاً على معالم الإبداع والتأليف الرياديّ .. ومع ذلك فقد أغرقوا المكتبات العربية بآلاف الكتب والعناوين التي سبقَ لدور نشر عربية ومطابع قديمة، أن نشرتها بتحقيقات وشروح وجهود علمية مخلصة، فجاءت دور النشر اللبنانية، وكثيرٌ من دور أخرى عربية، وكلّفت عددًا وفيرًا من أساتذة الجامعة اللبنانية، بإعادة النشر، على شيء هزيل من التشكيل، والشرح المعجمي، والتعقيب السطحي، ناسبين هذه الكتب إليهم، وليس لهم منها إلاّ السَّطو على ذلك الجهد العظيم، مع احتمالات شتى لتشويهه.

هذه المشاعر المحزنة تنتابني الآن، لا استياءً واحتجاجًا على فِعال لا تمتّ بصلة إلى خلقية الباحث الجامعي والمؤلف الرصين، بل لأن أساتذة الجامعة المعْنيين بالنشر المنحول، عوضًا على أن يُسهموا في مواصلة الركب في بناء مدنية العروبة والإسلام، ورفْع المداميك الجديدة، ومواكبة الأمم والشعوب الراقية، يقومون الآن باجترار آثار السلف الصالح وقَضْمها بدلاً من هضمها وإنشاء آثار أخرى أعرق وأعمّ معرفة وفائدة..

- وفي زحمة هذه المشاعر، **لا بدّ من رصد هذا الواقع المتردي** والبحث عن دوافعه وعلله، فأرى أن **العلّة الكبرى** لذلك تكمن في **السياسة التربوية العامة التي رسمتها الدولة،** من خلال مجلس الجامعة الذي يرسم هذه السياسة ويقوم بتنفيذها، ألا وهي **عدم الجدِّيَّة في إغناء اللغة العربية،** ودفعها لتأخذ دورها في التطور الفكري والحضاري.. فأذكر مثلاً، **أنْ ليس في الجامعة اللبنانية اليوم، من يمتلك ناصية التأليف والتنظير في اللغة العربية،** ما خلا فئة قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة .. حتى إذا توفي واحد منهم، شغر مكانه، وأُسندت ساعات التدريس التي كان يملأها، إلى أستاذ آخر من غير اختصاص، كما حصل مع الباحث اللغوي المستنير الدكتور **محمد أحمد قاسم** الذي رحل مؤخرًا، فتشرَّد العديد من طلبته، وغيَّروا من خطط موضوعاتهم اللغوية لتحضير الرسائل العليا، إلى موضوعات أدبيّة، أو انكفأوا وعزفوا عن المتابعة، بسبب انعدام الأهلية والاختصاص اللغويين.

و**الأغرب، والأنكى** أنَّ كلية الآداب، في جامعتنا الوطنية، تُعِدُّ لرسائل دبلوم عليا وأطاريح دكتوراه، بإشراف دكتور مختصّ.. لكنَّ لجنة القراءة والمناقشة، لا تتوافر فيها شروط الاختصاص، فيناقَش الحائزُ على الدبلوم أو الدكتوراه، من

أساتذة ثقافتُهم اللغوية لا تتعدّى المرحلة الثانوية أو الصفوف الأولى من السنوات الجامعية. ومع ذلك يُمنح الطالب فيما بعد، أطروحة في اللغة العربية، وهو لم يُفد شيئًا يذكر من خبرة المناقشين وتصويباتهم، ويدخلُ الممنوحُ درجةَ الدكتوراه، في هيئة التدريس الجامعي، للحاجة الملحة إلى اختصاصه، وتتكرر التجربة، فيُشرف من هو مفتقر إلى العمق والغنى والمعرفة اللغوية، على طلبة جدد..**والنتيجة خواءُ اللغة أو قل خواء الجامعة من رجالات اللغة والبحث اللغوي**، وتاليًا **خواء المكتبة من مؤلفين أكفياء وكتاب متضلعين بالتحقيق، وأساليب التعبير والكتابة في مختلف أنماطها ووجوهها.**

ونذكر في هذا الصدد، **علَّة أخرى** لعلّها أمرُّ وأمضُّ، ألا وهي **جَهلنا المطبق في القراءة الجهرية**، هذه الخبرة التي لا تكاد تحظى بأي نصيب من مقررات قسم اللغة العربية في كلتا الإجازة والماجستير..

ولمّا كنتُ واحدًا من لجنةٍ عُهد إليها منذ سنوات قليلة بتعديل المناهج والبرامج المقررة لطلبة قسم اللغة العربية، في سنوات الإجازة والدبلوم فقد قدَّمتُ مشروعًا لإقرار هذا الرصيد، فوُوفق عليه بعد تلكؤ ومعاند، بحجّةِ أنه لا يجوز أن يُدرَّس طلابُ الليسانس، أشياء تدرَّس في المراحل الابتدائية والمتوسطة؛ فحالفني الحظّ أنَّ رئيس اللجنة – وهو أديب لبناني مرموق – وهو يلفظ اسمي، قد أخلّ بسلامة اللفظ وابتلع حرفين من اسمي فقال: «أيُّوبِ» (بكسر الباء) فقط، فانْبريتُ له بجرأة وشجاعة قائلاً: ها أنتَ الأديبُ المعروف لا تُحْسن لفظ اسمي وقراءته كما يجب، منبِّهًا على إخفاء (ياء) النسبة، والشَّدَّة فما بال الآخرين؟ فأُقِرَّ الرصيد، لكنه اجتزئ من ساعات تدريسه وأُلحق برصيد **صناعة الكتابة** فأصبح: **تقنيات التعبير والإلقاء**. وعند التطبيق، لم يقم الأساتذة بتدريسه، بل جعلوه مع الامتحان الشفهي .. ولكنْ مَن ذا الذي يُحسن تدريسه، ومعظم أساتذتنا يفتقدون ملكة النطق

المخارجي السليم، فضلاً على قواعد الإعراب والأداء الجهري الشبيه بأداء ممثلي المسارح الكبار؟.

وأصل إلى الفقرة الأخيرة من هذا البحث،

التحدّيات والاستشراف

من خلال ما عرضتُ في ثنيات البحث، من أرقام أرصدة التدريس اللغوي، ومناهجه التي تفاوتت بين جامعة وأخرى، أو طائفة وأخرى، ومن خلال الواقع القاتم الذي استشعرتُه وتمرَّستُ أو قل: تمرَّغتُ فيه على مدى عقدين من الزمن في التدريس والمعانيات المتعددة، أرى أن الأمة العربية والإسلامية تتعرض اليوم إلى ما تقتضيه **المعادلة التالية:**

إذا وقع نقصٌ أو قصور ما في جانب، قابله تقدمٌ وتغيّر، من جانب آخر.

أعني بذلك: **الاتجاه الشديد نحو التغريب والتفرنج** تحت ستار التطور المدني والتكنولوجي العالمي الذي يغزو معظم الأمم والشعوب، فنتطور في الحياة الخارجية، ونترفَّه في أساليب التمظهر، على حساب الجوهر الكامن في الأعماق والجذور؛ يؤكد ذلك هذا المعجمُ المتنوع من الألفاظ الأجنبية والمصطلحات الغربية التي استولتْ على مفردات لغتنا العربية المتداولة كلامًا وخطابًا وكتابة..

زد على ذلك، هذا الخليط من التراكيب والألفاظ العامية التي يتعامل بها الناس من غير مستوى وقبيل، لدرجة أضحت اللغة المحكيَّة تُستخدم في خطب الكثير من أهل السياسة والقلم، حتى في المنابر الإعلامية المرموقة؛ إذ يقوم أحدُ الإعلاميين في محطة فضائية لبنانية، بمحاورة رجالٍ من أهل الفن والسياسة والأدب، بلهجته اللبنانية الجنوبية، في الوقت الذي يجيبه الطرف الآخر بالفصحى، دون أن يرعوي هذا الإعلامي فيصوِّب أسلوبه ولغته، بل يتابع الحديث في عاميته حتى آخر الحلقة .. وقس على ذلك الكثير من المقابلات التلفزيونية وبعض ما

تُذيعه الإذاعات المحلية، فتُثار القضايا وتُشرح المسائل كلها أو معظمها، باللهجة المحكية. وليس ذلك مقصورًا على الإعلام اللبناني، بل شائع في العديد من المنابر الإعلامية العربية، كل ذلك يزيد في قتامة الصورة واربداد الأفق، فيخبو وهجُ العربية شيئًا فشيئًا رغم أنف الأدعياء والمتشدّقين بالحمية القومية العربية والشعائر الإسلامية..

وأدخل ههنا في **قلب الحقيقة المرَّة** التي قد تفاجئ البعض ممَّن يعتنقون أفكارًا وأحكامًا محفوظة ومتوارثة حول ممارسة الطقوس والشعائر الإسلامية، لكنها لا تفاجئ الرائي البصير الذي يُحسن المراقبة والمتابعة.. عنيت بذلك **سقم اللغة بإعرابها وتراكيبها وتصاريفها لدى عدد كبير** من رجال الدين الإسلامي، وبخاصة **خطباء المساجد أيام الجمع**، حيث يصل الأمر لدى بعضهم إلى القفز فوق كل القواعد والأصول وهم يُلقون الخطب، فيتلقف المصلُّون ذلك ولا ينتبهون أو لا يأبهون، مأخوذين بجَهْورية الصوت، ونوبات الصراخ وأبعاد الاتعاظ الديني ورهبانية المصير .. وأذكر أنني في العديد من صلوات الجُمع، وأنا أستمع إلى الأدعية الرحمانية، في الخطبة الثانية كنتُ أردد في سرِّي، عقب كل دُعاء مشوبٍ بالصراخ الهستيري، وخطايا اللفظ والتركيب: استغفر الله !! أستغفر الله!! عوضًا من: آمين!.. آمين!. ولو لم تكن الجمعةُ مفروضة ويُحاسب من يتخلَّف عنها، لأحجمتُ عن الذهاب إلى الجوامع أيام الجمع..[١٠]

ولكن، هل يعني أننا ماضون في طريق التصدع والانحلال؟

أليس هناك من سبيل لرأب هذا الصدع، وذياك الانحلال المرتقب؟

ليس الأمر بهذه الصورة القاطعة.. الحقيقة الماثلة الآن، لا تُبشِّر بخير، ولا تومئ إلى يقظة وجدانية وضميرية قريبة..

١٠-

لكنَّ **الوعي التنويري** الذي يجب أن تقوم به مؤسساتنا الفكرية والدينية المسؤولة، **والدور البيتيّ** الغائب عن المسرح والمسؤولية، **كفيلان بإعادة الحياة إلى هذه اللغة وهذه الأمة المجاهدة** التي استطاعت أن تقاوم المغول، والتتار، والأتراك، طوال قرون عديدة، وأن تستعيد موقعها وحضورها بين الأمم العريقة، وأن تنهض من جديد، فيكون لنا نهضة جديدة (Renaissance) عربية، بعد نهضة القرن التاسع عشر، ومطالع العشرين مع مفكرين ولغويين وكتاب وشعراء كبار، **كمحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ورفاعة الطهطاوي، وأحمد فارس الشدياق، والبستانيَّيْن المعلم بطرس، وسليمان، واليازجيّيْن ناصيف وإبراهيم، وأحمد شوقي، وخليل مطران** ونفر آخر من أهل السياسة والاجتماع..

من غير أن ننسى أو أن نَغْفُل، أنه **غير مسموح للغة العرب، التردي في ظلمات التخلف والرجعية، ما دامت تحتضن القرآن الكريم وتتفيأ ظلاله المباركة،** مع التذكير والتبصير بقوله تعالى، وهو أصدق القائلين :

(إنَّ الله لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم).

[سورة الرعد: الاية 11]